عزيز الماج

قضايانا القومية في مؤتمر الاونسكو الثامن عشر

ـ ١ ـ
دور المنظمات الدولية الحكومية

انشئت هيئة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة على اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية بالانتصار على الفاشية والوعود الدولية بحلول عهد جديد في تاريخ البشرية . وقد اقيمت الامم المتحدة بوصفها الهياة السياسية الدولية العليا لضبط وتنظيم العلاقات بين الدول، والحفاظ على السلام العالمي ، بينما تاسست الاونيسكو في لندن في نوفمبر ١٩٤٥ لتسجل في ميثاقها التاسيسي بان الدول الموقعة على الميثاق :

« اذ تعتزم تامين فرص التعليم تامينا كاملا متكافئا لجميع الناس، وضمان حرية الانصراف الى الحقيقة الموضوعية والتبادل الحر للافكار والمعارف ، تقرر تنمية العلاقات ومضاعفتها بين الشعوب تحقيقا لتفاهم افضل بينها ولوقوف كل شعب منها بصورة ادق واصدق على عادات الشعوب الاخرى .

« وبناء على ذلك ، تنشىء الدول بموجب هذا الميثاق منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، لكي تسعى ، عن طريق تعاون امم العالم في ميادين التربية والعلم والثقافة ، الى بلوغ اهداف السلم الدولي ، وتحقيق الصالح المشترك للجنس البشري ، وهي الاهداف التي انشئت من اجلها منظمة الامم المتحدة والتي ينادي بها ميثاقها » .

وورد في البند الاول من المادة الاولى من الميثاق المذكور :

« تستهدف المنظمة المساهمة في صون السلم والامن بالعمل عن طريق التربية والعلم والثقافة على توثيق عرى التعاون بين الامم ، لضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الانسان والحريات الاساسية لكافة الناس دون تمييز بسبب العنصر او الجنس او اللغة او الدين كما اقرها ميثاق الامم المتحدة لسائر الشعوب . »

واذن فان الاونيسكو نشات في الاساس لتخدم اهدافا سياسية وانسانية عليا ، عن طريق التعاون الدولي المتكافىء في مجالات التربية والعلم والثقافة والاعلام ، ولذلك كان المفترض منذ البداية ان تكون اهداف صيانة سلم عادل مديد ، في العالم ، ومكافحة الاستعمار والعنصرية ، واحترام حقوق الانسان ، في المقدمة من بين الاهداف الاساسية للاونيسكو ، برغم ان الاشكال والاساليب والاطر التي يمكن ان تسلكها او تتبناها لخدمة هذه الاهداف قد تختلف عما يجري في الامم المتحدة .

غير ان قيام الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة (والاونيسكو على راسها) والمواثيق والشعارات والوعود النبيلة لم تستطع بحد ذاتها ان تخلق في العالم علاقات دولية جديدة اساسها المساواة والحرية والعدالة . فسرعان ما اخذت الامبريالية الاميركية تستغل مركز الافضلية الذي تمتعت به بفضل الحرب الثانية ، واحتكارها الذري ، وتسعى لبسط سيطرتها على الشعوب ، وبدات بانتهاج سياسة الحرب الباردة وحافة الحرب الساخنة ، وكانت الدول الاستعمارية الاخرى تحاول بكل الوسائل الحفاظ على مستعمراتها وتوابعها . حقا ان ميزان القوى العالمي كان قد تغير نحو الافضل بفضل انتصار الثورات الشعبية في الصين وغيرها ، وقيام منظومة اشتراكية كبرى ، ونجاحات حركات التحرر الوطني . غير ان القوى الامبريالية والعدوانية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، ظلت تفرض بصماتها ومناوراتها وحروبها العدوانية على مسرح العلاقات الدولية ، وهذا مما كان ينعكس على موازين القوى داخل الامم المتحدة والاونيسكو ، وبالتالي على قرارات وممارسات هاتين الهياتين الدوليتين . او لم تتم الجريمة التاريخية الفظيعة بتقسيم فلسطين في الامم المتحدة وعن طريقها (طبعا ساعد هنا سوء تقدير بعض القوى الدولية الصديقة والمواقف والسياسات المهلكة للانظمة العربية وقتذاك) ؟؟

الم تستطع الولايات المتحدة ان تتدخل عسكريا في كوريا عام ١٩٥٠ تحت راية الامم المتحدة بالذات ؟

اما بالنسبة للاونيسكو فان نشاطها العام الغالب كان فنيا محضا تقريبا ، وكانت الدول الغربية هي ذات الوزن المؤثر والاول ، وكانت انماط المثل والافكار والثقافات والتربية البرجوازية ـ الغربية ـ هي الاكثر رواجا وانتشارا ففي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية كانت غالبية الدول المتنامية مستعمرات مباشرة او اشباه مستعمرات ومنها بالطبع اغلب الدول العربية . كما ان الدول الاشتراكية لم تكن كلها عضوة في الاونيسكو ، ولا هي ذات وزن فعال فيها . اما حركات التحرر الوطني فلم تكن الاونيسكو لتعنى بالالتفات الجدي اليها واقامة اي شكل من العلاقات او الصلات معها .

* * *

غير انه منذ العقد الثاني الذي تلا نهاية الحرب شرعت بالتبلور والبروز والنمو ظواهر جديدة على المسرح الدولي ، وعلاقات قوى جديدة . فقد انكسر الاحتكار الذري الاميركي ، وازداد وزن وقوة الدول الاشتراكية ، ونهضت حركات التحرر الوطني بخطوات جبارة الى امام ولا سيما في الوطن العربي . فبعد الثورة المصرية انتصرت ارادة النضال العربي على العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ ، واندلعت ثورة الجزائر وانتصرت ، وحطم شعب العراق حصن الملكية العميلة واغلال حلف

بغداد . وبعيدا بعيدا انتصرت كوبا . واما في افريقيا فقد شهدت سنوات ما بعد ١٩٦٠ نجاحات باهرة لحركات التحرر الوطني فيها ، وبرزت في القارة السوداء دول مستقلة ومتنامية ... هذه النجاحات والانتصارات تمت وسط عراقيل وصعوبات كبيرة ، ورافقتها انتكاسات وتراجعات هنا وهناك لصالح القوى الامبريالية والرجعية . ولكن الخط البياني الغالب كان لصالح القوى المحبة للحرية والمناضلة ضد الاستعمار . وبجانب هذا التيار التحرري والثوري العام ، برزت ظواهر دولية هامة اخرى ، على رأسها سياسة الوفاق بين الدولتين الاعظم ، والصراع السوفياتي ـ الصيني المؤسف .

وقد وجدت جميع هذه الظواهر الدولية الجديدة انعكاساتها المختلفة وبدرجات متفاوتة على نشاط وممارسات الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ولا سيما الاونيسكو . كان لبعض هذه الظواهر انعكاسات سلبية ، غير ان الرجحان كان لكافة الظواهر الايجابية وانعكاساتها المؤثرة باتجاه زيادة وتعميق التأثيرات التحررية والتقدمية في انشطة هذه الهيئات ورجحان كفة القوى المناضلة فيها وتطوير تركيبها، وشمولية تمثيلها الدولي ... اما بالنسبة للوزن العربي في الهيئات الدولية الحكومية ، ومنها الاونيسكو ، فقد ازداد ثقلا وتأثيرا مع اندلاع حرب اكتوبر العربية ـ الاسرائيلية برغم وجهات النظر او التحفظ على كيفية ادارتها وعلى طريقة استخدام السلاح البترولي خلالها وبعدها .

* * *

ففي ظل هذه الاوضاع والظروف الدولية الجديدة ذات الانعكاس على الامم المتحدة والاونيسكو اصبح بالامكان اتخاذ قرارات دولية سليمة وصحية لصالح قضايانا القومية ولا سيما القضية الفلسطينية .

وهنا نود التأكيد على الحقائق التالية :

١ ـ ان افضل القرارات التي تصدرها هذه الهيئات الدولية لن تعني بحد ذاتها وبمعزل عن التطبيق شيئا خطيرا ذا حسم . انها قد تكون ذات قيمة معنوية وسياسية انسانية هامة ، غير ان ما هو اهم والذي يشكل المغزى الاخير ، هو ترجمة هذه القرارات الى حيز التنفيذ. وهذا ما تعرقله في العادة الولايات المتحدة والسائرون في ركابها ، او قد يجري مسخ القرارات الجيدة والتحايل عليها وتجريدها من روحها. ولدينا ـ وهذا هو المثال الصارخ ـ سلسلة من القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ومجلس الامن والاونيسكو عن القدس ، واستمرار الكيان الصهيوني بخرق هذه القرارات ، وتحديها ، وعصيانها مدعوما في ذلك بالقوة الاميركية الغاشمة .

اننا لسنا ممن يعلقون الاوهام على الهيئات الدولية او يعتبرون قراراتها غاية بحد ذاتها ، او ان طريق الامم المتحدة هو السبيل الاوحد لنيل الحرية والحقوق الضائعة، اذ ان حقوق العرب في فلسطين لا تسترد الا بالكفاح الفلسطيني العربي ، مهما كان طويلا وشاقا .

الا اننا من الجهة الثانية لا نلغي دور الهيئات الدولية ، ولا نقلل من اهميتها على الصعد السياسية والدبلوماسية والمعنوية والسيكولوجية. وان للقرارات الجيدة التي تصدر عن هذه الهيئات مفعولها الذي لا ينكر في تنوير الرأي العام الدولي الخير وتعبئته لتأييد قضايانا القومية وسائر القضايا التحررية ... وان العمل الدبلوماسي والاعلامي ، له بالتأكيد دوره وتأثيره الايجابيان اذا ما مورس بالشكل الصحيح واذا ما وضع في خدمة الاهداف القومية وفي خدمة الكفاح التحرري ـ القومي نحو هذه الاهداف . فللعمل في الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة فوائده وتأثيراته الايجابية ، التي لا يجب ان تنكر ، وبالتالي ينبغي تعزيز وتنشيط وتطوير الوجود والعمل العربيين فيها ، وبذل الجهود المبرمجة والمثابرة لاستثمار منابرها وامكاناتها لخدمة قضايانا القومية العليا بشكل او اخر .. وانه لمن الخطأ الفادح ان ينظر الى الامم المتحدة والاونيسكو نظرة اوضاع عام ١٩٥٠ حيث كان الدور الراجح في هذه الهيئات هو للولايات المتحدة وشركائها وتوابعها . فالتغييرات الدولية العميقة التي جرت في العالم ، قد عكست نفسها تدريجيا على عمل ونشاط هذه الهيئات ، حتى اصبح للقوى التحررية الدور الراجح فيها . وهو ما اصبحت الدوائر الاميركية والصهيونية تسميه «بالاكثرية الآلية» وما هي باكثرية « آلية » بل انها انعكاس لموازين القوى الدولية في يومنا هذا .

٢ ـ لقد كان عام ١٩٧٤ عام فلسطين في الهيئات الدولية ولا سيما في الامم المتحدة والاونيسكو . ونود الاشارة هنا الى ان ثمة منطلقين اساسيين مختلفين في فهم الموضوع وتقديره ، والاهداف المتوخاة من وراء طرح القضية على الامم المتحدة (ووكالاتها) . فهناك المنطلق الذي يفهم من ذلك كله احد السبل المؤدية الى تسوية ما وجزئية للقضية الفلسطينية وللصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وهناك المنطلق الذي يستهدف تعزيز وتوسيع البعد الدولي للقضية الفلسطينية ، ووضع هذا البعد (وكل نشاط دبلوماسي واعلامي) في خدمة الكفاح الثوري العادل للشعب الفلسطيني وللامة العربية والذي يجب ان ينتهي بانتصار حاسم ومتكامل مهما طال الطريق وفدحت التضحيات ..

٣ ـ وبالنسبة للاونيسكو ،وبالاضافة الى التقديرات الخاطئة التي حذرنا منها اعلاه (ناظرين اليها بمعايير ما قبل عشرين عاما) ، توجد افكار وتقديرات اخذت الدوائر الاميركية والصهيونية تغذيها في السنوات القليلة الماضية ومؤداها ان الاونيسكو منظمة ذات طابع فني بحت ولا يجب ان تتناول السياسة باي شكل من الاشكال. والمؤسف ان بعض العرب يقعون احيانا ضحية لهذه التقديرات الخاطئة والضارة . ان ما تسميه الدوائر الامبريالية والصهيونية ب « تسييس » الاونيسكو ليس الا ستارا من دخان لاخفاء حقيقة نشاط واهداف هذه الدوائر داخل المنظمة الدولية المذكورة ، ومحاولة جديدة للتصدي لارادة الخير منها ، ولعرقلة المنظمة من اداء مهماتها الانسانية والحضارية الكبرى . وكما راينا فان ابرز الاهداف المسطرة للاونيسكو ذات علاقة وثيقة بقضايا العمل من اجل سلام عالمي عادل والدفاع عن حرية الشعوب ، وضد الاستعمار ، والعنصرية والفاشية وفي سبيل احترام حقوق الانسان والمساواة بين الشعوب في ظل العدالة .

هذا اولا .

وثانيا ، ليس في عصرنا حدود عازلة بين السياسة وغير السياسة . في عصرنا اصبحت السياسة تدخل حتى الماء الذي نشرب والهواء الذي نستنشق .

وثالثا ، ان الاوساط الامبريالية هي التي كانت تقحم السياسة في الاونيسكو باستمرار ، وتحاول تسخير البرامج الثقافية والتربوية لاهداف سياسية معلومة .كما انها كانت المسؤولة عن ابعاد الصين الشعبية والمانيا الديمقراطية وكوريا الشعبية وحركات التحرر الافريقية وغيرها عن عضوية المنظمة ، وذلك لاسباب سياسية وليس لاسباب ثقافية او « فنية » .. وفي كل مرة تجد الولايات المتحدة وتابعها الكيان الصهيوني ان احد القرارات الاونيسكوية لا تروق لهما ، فانهما يشرعان باطلاق الضجيج والزعيق حول ما يدعى ب « تسييس الاونيسكو » ومخاطر هذا « الانحراف » المزعوم ، يراقق ذلك كله الوعيد والتهديد .

* * *

ـ ٢ ـ

مع المؤتمر العام الثامن عشر للاونيسكو

افتتح المؤتمر العام الثامن عشر يوم ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ وانتهت اعماله مساء ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي . ويمكن القول ان المؤتمر المذكور كان احد اهم مؤتمرات الاونيسكو

واكثرها حيوية وكذلك تعقيدا .

وبالاضافة الى القرارات الخاصة بتوسيع استعمال اللغة العربية في الاونيسكو وتبني مشروع جيد لدراسة الثقافة العربية ، ناقش المؤتمر عدة قضايا ذات طابع سياسي تخص البلاد العربية مباشرة، واتخذ بصددها قرارات . كما اتخذ قرارات اخرى هامة ذات طابع سياسي تتعلق بمهمات الاونيسكو على الصعيد الدولي في مكافحة الاستعمار والفاشية والعنصرية ، واسناد الحركات التحررية ،ومنها حركة التحرير الفلسطينية . واتخذ قرارا بادانة الارهاب الفاشي في تشيلي ، وقرارا بالاحتفال بالذكرى الثلاثين للانتصار على الفاشيةفي الحرب العالمية الثانية . كما ناقش المؤتمر القضايا الخاصة باقامة نظام اقتصادي دولي ودور الاونيسكو في ذلك حيث اسهمت بعض الوفود العربية اسهاما نشيطا في دحض الافكار والدعايات التهويشية الامبريالية ـ الصهيونية ضد الاقطار العربية .

وبالاضافة الى القرارات السياسية العمومية (ذات الطابع الشامل) التي تمس هي الاخرى وبشكل او اخر قضايانا القومية ، فان هناك اربع مسائل اساسية اخرى كانت ذات صلة مباشرة بقضايانا القومية وبالصراع العربي ـ الاسرائيلي . ونعني :

١ ـ طلب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة كعضو مراقب ، في انشطة اليونسكو ومؤتمراتها .

٢ ـ ما يخص التعليم والثقافة في الاراضي العربية المحتلة .

٣ ـ حول استمرار الحفريات الاسرائيلية في مدينة القدس والامعان في تغيير معالمها وشخصيتها المتميزة .

٤ ـ الطلب الاسرائيلي بالانضمام الى ملاك المجموعة الاوروبية في الاونيسكو كعضو اصيل ، للمشاركه في انشطتها بحقوق كاملة .

اما حول قبول منظمة التحرير الفلسطينية فقد اوصت بذلك دورة المجلس التنفيذي للاونيسكو التي سبقت مباشرة انعقاد المؤتمر (دورة ايلول ١٩٧٤) برغم المعارضة الاميركية وامتناع الدول الغربية . وكانت التوصية تعني ان الطريق اصبح ممهدا لكي يصادق المؤتمر عليها ، وهو ما تم بالفعل في الفترة الاولى من اعمال المؤتمر. وبالطبع فقد انطلق الصراخ التهويشي الاسرائيلي على اثر قرار الموافقة، مدعوما بالوفد الاميركي . وباتخاذ القرار المذكور فان الاونيسكوسجلت لنفسها شرف المبادرة قبل قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة الى قبول منظمة التحرير للمساهمة في انشطة اليونسكو ومؤتمراتها، ولما كان القراران حول مسالة القدس وحول الطلب الصهيوني بالانضمام الى المجموعة الاوروبية قد اثارا اكبر قدر من السعار الامبريالي الصهيوني فسوف نركز عليهما في هذا المجال .

* * *

ـ ٣ ـ

قضية القدس

ان اصل مشكلة القدس هو اغتصابها بقوة السلاح الصهيوني وفرض الاحتلال العسكري عليها ، الشطر الاول على اثر قيام الكيان الاسرائيلي والشطر الاخر على اثر كارثة حرب ١٩٦٧ ، وهو الذي يدعى بالشطر العربي ، بينما الشطران هما في واقع الحال عربيان .ومعلوم ان هيئة الامم المتحدة لم تعترف بالاحتلال العسكري الصهيوني لمدينة القدس . ومنذ الاحتلال الثاني لعام ١٩٦٧ اخذت سلطات الاحتلال تتخذ الاجراءات العملية لتنفيذ خطة لتهويد القدس كلها ، وذلك باجراء الحفريات فيها ، وتغيير معالمها التاريخية والثقافية المتميزة وتحويلها الى مدينة يهودية « عصرية » كأية مدينة اسرائيليةاخرى.

وقد اتخذت الامم المتحدة ومجلس الامن اعتبارا من تموز (يوليو) ١٩٦٧قرارات متعددة ومتتالية تدين هذه الاجراءات وتدعو حكومة الكيان الصهيوني للامتناع عنها . وفي الدورة الخامسة عشرة للاونيسكو لعام ١٩٦٨ ، جرى اتخاذ قرارات مماثلة وجدت توكيدها اللاحق في قرارات دورات المجلس التنفيذي ، ثم الدورة السابعة عشرة للمؤتمر العام (١٩٧٢) وجميع هذه القرارات كانت تدين موقفالعدو الاسرائيلي واجراءاته ، وتدعوه للكف الفوري عنها بسبب خرقها لبنود اتفاقية لاهاي لعام ١٩٥٤ حول حماية الممتلكات الثقافية في حالة قيام نزاع مسلح . وقد استغل العدو الصهيوني وحماته واعوانه الطابع الفضفاض لبعض بنود الاتفاقية المذكورة لتبرير اجراءات الحفر والتغيير وعرضها بوصفها « تحسينا » او « تطويرا » و « تعميرا » والحال ان هناك تفسيرين لهذه البنود ، التفسير الاستعماري ، العدواني ، الذي تاخذ به السلطات الصهيونية ، والتفسير السليم الذي قامت على اساسه قرارات الاونيسكو وهيئة الامم المتحدة بهذا الصدد ، وهي قرارات صريحة واضحة وقاطعة ، وتدعو الكيان الصهيوني الى الكف على الفور عن القيام باية حفريات وتغييرات في مدينة القدس مهما كان شكلها ومهما كانت المبررات والحيثيات المقدمة .

وكان انصار العدو داخل جلسات المجلس التنفيذي للاونيسكو ومؤتمراتها العامة ينبرون في كل مرة لتخفيف نبرة القرارات المتخذة، واعتبار مجرد كلمة « ادانة » « خروجا » من الاونيسكو عن واجباتها ، وفرض نفسها « محكمة » لا يمكن ان تجد سندا من دستورها ! وقد قرر المجلس التنفيذي في دورته الرابعة والتسعين وباكثرية الاصوات احالة الموضوع كله الى المؤتمر العام الثامن عشر للبت فيه بعد ان استنفدت عبارات « الشجب » و« التانيب » و « الادانة » اغراضها ، ولم تزد سلطات الاغتصاب الصهيوني الا اصرارا على الاستهتار بالراي العام الدولي والتمرد على قرارات الهيئات الدولية .

وقد تدارس المندوبون الدائمون العرب لدى الاونيسكو الامر قبل المؤتمر ، واتفقوا على صيغة لمشروع قرار ، طرحوها للمناقشة على عدد من الوفود الصديقة من اشتراكية واسلامية وافريقية ، وانتهت حصيلة المناقشات التمهيدية الواسعة هذه الى الاتفاق على مشروع قرار يمثل الحد الادنى مما يجب ان تقبل به الدول العربية ، ووقعت على المشروع المذكور سبع واربعون دولة عضو في الاونيسكو .والمشروع اذ يؤكد على جميع القرارات الدولية بشان القدس واذ يدين اسرائيل « لموقفها المناقض للاهداف التي تتوخاها المنظمة كما وردت في ميثاقها التاسيسي وباستمرارها في تغيير معالم مدينة القدس التاريخية وفي اجراء الحفريات التي تشكل خطرا على آثارها ، وذلك عقب احتلالها غير الشرعي لهذه المدينة . » ، فانه (اي المشروع)يدعو في فقرته الاجرائية الثالثة المدير العام الى :

« عدم تقديم اي عون في ميادين التربية والعلم والثقافة الى اسرائيل ، وذلك الى ان تحترم بدقة القرارات المشار اليها آنفا .

ونقول انه مشروع للحد الادنى ، لان دولة عدوانية مغتصبة كاسرائيل لا تستحق اساسا شرف عضوية الاونيسكو وهيأة الامم المتحدة، كما ويجب ان تجابه بمقاطعة دولية شاملة في جميع الميادين .

ومنذ الايام الاولى للمؤتمر الثامن عشر اخذ يتضح اكثر فاكثر ان الفقرة الثالثة من المشروع ستكون محور صراع دبلوماسي وسيكولوجي مرير ، لان الولايات المتحدة الاميركية عزمت على منع اقرارها اما تتضمنه من عقوبات جزئية على اسرائيل ، وان مغزى تلك العقوبات ليس في حجم المساعدات الاونيسكوية التي ستقطع ، بل في المدلول السياسي البين للقرار والذي سيكون اول قرار من نوعه تتخذه هيئة دولية حكومية تجاه العدو الاسرائيلي .

ولما فشلت جهود الوفد الاميركي ووفود غربية اخرى لتعديل مشروع القرار قام وكيل وزارة الخارجية الاميركية لشؤون المنظمات

الدولية بزيارة مفاجئة للاونسكو سبقتها تهديدات اميركية غير مباشرة بان اقرار المشروع سيؤدي الى ان تقطع الولايات المتحدة مساهمتها الاونيسكوية التي تبلغ الربع ، وهذا يعني ، بالطبع ، ارباك الوضع المالي للمنظمة وتعقيده ، وتقليص مشاريعها وانشطتها . وقد طلب المسؤول الاميركي المذكور مقابلة الوفود العربية في اجتماع خاص ، فاستجابت لطلبه وفود عديدة منها ، حيث جرى بين الجانبين نقاش طويل لم يسفر عن نتيجة .

وهنا بدل الاميركان تكتيكهم فبدلا من التصدي المباشر والمكشوف، اوعزوا الى بعض الوفود الاخرى ولا سيما من بين بعض الافارقه ، للقيام بالدور ذاته (دور الضغط المركز من اجل تعديل مشروع القرار بما ينسف جوهره) . وقد درست اللجنة الثقافية للمؤتمر العام بعد تاجيلات تلفت النظر مشروع القرار ، وشهدت الجلسات المطولة مناقشات ومساجلات حادة . وكان ابرز ما يلفت النظر ان بعض المندوبين الافارقة ، ولا سيما مندوب داهومي (محام ثري ومقيم بباريس) استخدموا كل ما في جعبتهم لعرقلة ومنع اقرار المشروع ، ولفرض تعديلات جوهرية عليه . وكانت نقطة الخطر في اللعبة هي محاولة شق التضامن العربي ـ الافريقي بتصوير القضية وكانها موجهة ضد معظم الدول الافريقية بل وضد السيد م ـ باو ، المرشح الافريقي لمنصب المدير العام .. ولم تذهب هذه المحاولات الماكرة من دون تاثير. فقد اضطرت مجموعة الوفود العربية الى ان تدرس وتناقش مرة بعد اخرى ما اذا كان يجب ان تعدل القرار « لترضية الافارقة » وفي كل مرة كانت تنتهي الى ضرورة عدم التغيير خصوصا والمشروع لم يعد عربيا بل وقعت عليه دول اخرى ، لم تطالب اية منها باجراء ابسط تعديل ... وفي وسط الضغوط والمناورات ، كانت المجموعة العربية تشرع ببحث الامر مجددا ، لتنتهي الى القرار ذاته ـ وهكذا دواليك .

ومهما يكن ، فان المفرح في الامر ان المحصلة النهائية كانت في الاصرار على المشروع وعلى عدم تعديله باي شكل من الاشكال . وقد حصل المشروع في اللجنة الثقافية على اغلبية ٥٤ صوتا وامتناع ٢٥ صوتا ومعارضة ٢١ صوتا : الولايات المتحدة والدول الغربية وعدد من دول اميركا اللاتينية مثل كوستاريكا وهندوراس والاكوادور ... وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٧٤ ، وبعد مناورات وضغوط مكثفة جديدة ناقشت الجلسة العامة توصية اللجنة الثقافية ، فاقرت باغلبية ٦٤ صوتا ومعارضة ٢٧ وامتناع ٢٦ .

وسواء في مناقشات اللجنة الثقافية او الجلسة العامة ، فان وفودا صهيونية عديدة تجمعت تحت اسماء شتى تتاخذ حق الكلام ، ولتحاول التاثير على مجرى المناقشات . غير ان محاولاتها باءت بالفشل وقد لقيت اباطيل حججها ردودا علمية مفحمة من جانب بعض المندوبين العرب . فقد بين هؤلاء ان المسالة ليست مسالة دينية ، او قضية « حرب ضد اليهودية » كما ادعى المندوبون الصهاينة ، بل انها قضية اغتصاب بالقوة لاراضي الاخرين ، واستهتار بارادة الراي العام الدولي والقرارات الدولية ، وان الكيان الاسرائيلي هو الذي يمارس اخر طبعات « اللاسامية » الموجهة ضد العرب (وهم ايضا ساميون). اما التلاعب بقضية ضحايا اليهود في الحرب العالمية الثانية فهو مفضوح ، لان تلك الجرائم لم تقترف في الاقطار العربية حيث عاش اليهود والعرب بامان ، ولان الامة العربية قد شجبت وتشجب تلك الجرائم النازية وامثالها . ثم ان الاعلام الصهيوني يتناسى عن عمد ان ضحايا الفاشية خلال الحرب كانوا اكثر من خمسين مليونا (*) من البشر وليس الخمسة او الستة ملايين يهودي وحسب . ثم ان الفاشية هي عقلية ونظام وممارسة ، وان اسرائيل تمثل الطبقة الجديدة لفاشية ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فهي ايضا دولة اعتدائية ، وتقوم على اساس عقلية التفوق والتمييز العنصريين ، وتسعى لابادة الشعب الفلسطيني ومحو شخصية فلسطين . واخيرا فان الصهيونية لا تستطيع ان تدعي تمثيل جميع يهود العالم لان هناك فئات من اليهود وشخصيات بارزة منهم معادية للصهيونية ، من امثال العالم انشتين وغيره . اما الادعاء بان اتخاذ مثل هذا القرار « يضعف » الاونيسكو، فان الذي يضعفها هو التمرد على قراراتها ، وتحدي ميثاقها ، وان الاونيسكو لا يمكن ان تظل الى انتهاية غير مكترثة للموقف الاسرائيلي المستهتر اذا كانت المنظمة حريصة على فرض احترام كلمتها وارادتها .

لقد كان اتخاذ القرار نجاحا دبلوماسيا ومعنويا ممتازا للحق العربي ، ولميثاق الاونيسكو الانساني الحضاري والثقافي ، فضلا عن انه شق طريق المبادرة امام الامم المتحدة نفسها لاتخاذ قرارات مماثلة. وقد كان توحدة الموقف العربي (برغم التضارب في وجهات النظر) ولاسناد الدول الصديقة وثبات موقفها اثر حاسم في هذا النجاح .

وكما راينا ، فان هذا النجاح قد جاء بعد سلسلة طويلة من المناورات والضغوط، وقد نظم الصهاينة الفرنسيون قبل الجلسة العامة الخاصة تظاهرة استفزازية وقحة امام مبنى المؤتمرات ، شتموا خلالها اركان الحكومة الفرنسية . كما ان المدير العام السابق (رينيه ماهو) قد انضم الى الجوقة الصهيونية بنشره في لوموند وقبل ساعة واحدة فقط من افتتاح الجلسة العامة الحاسمة مقالا ماكرا مليئا بالسم للتشكيك بمشروع القرار العربي والتحذير منه . وكان هذا موقفا غير مسؤول اثار سخط اكثرية الوفود ، وطالب بعضها باتخاذ قرار بادانته علما بان المومى اليه تحاشى حضور جلسات اللجنة الثقافية اثناء المناقشات بحجة المرض !

ـ ٤ ـ

اسرائيل والمجموعة الاونيسكوية الاوربية

في الاونيسكو مجموعات خمس لانتخابات المجلس التنفيذي ، وهي المجموعة الاولى وتدخل فيها الولايات المتحدة واسرائيل ، والمجموعة الاشتراكية ، ومجموعة اميركا اللاتينية ، والمجموعة الاسيوية ثم المجموعة الخامسة وهي مجموعة افريقية ـ عربية مشتركة . والى جانب هذا التقسيم ثمة تقسيم جغرافي ـ ثقافي من حيث انشطة الاونيسكو من اجتماعات ومؤتمرات ومشاريع اقليمية . وكانت كل من الولايات المتحدة وكندا والكيان الاسرائيلي غير منتمية الى اية مجموعة من هذه المجاميع ، برغم حقها في حضور اية اجتماعات او مؤتمرات اقليمية ، ولكن بصفة مراقب لا كاعضاء اصلاء . وكانت الولايات المتحدة وكندا قد طالبتا منذ الدورة السابقة بالانتماء الى المجموعة الاوربية ، كما طالب الاتحاد السوفياتي بالانضمام الى كل من المجموعتين الاوربية والاسيوية معا باعتبار ان اراضيه متوزعة على القارتين ، وكذلك الامر ثقافيا . وقد ترك الامر للمجلس التنفيذي ، الذي اوصى بذلك باكثرية الاصوات . والواقع ان الامر كله اتخذ طابعا سياسيا في الجوهر . فقد عارضت فرنسا بشدة انضمام الولايات المتحدة الى المجموعة الاوربية وتدخلت مسبقا لدى الدول الاخرى ومنها الدول العربية لتاييد موقفها بهذا الشان . كما ان الصين الشعبية تعارض ، كما هو معروف ـ طلب السوفييت بالمساهمة بالانشطة الاسيوية مهما كانت طبيعتها . ولذلك فقد كان واضحا ان القضية ستكون موضع مجادلات حادة ومناورات وضغوط مختلفة عند بحثها في المؤتمر العام الثامن عشر وكان بدهيا ان القضية ستصبح اكثر سخونة بعد ان تقدم الوفد الاسرائيلي بطلب تعديل لتوصية المجلس التنفيذي يقضي بالموافقة على قبول الكيان الصهيوني ضمن المجموعة الاوربية . وقد شهدت جلسات اللجنة الخامسة المنبثقة عن المؤتمر العام مناقشات ومجادلات حامية جدا حول الموضوع برمته .وقد ايد الجانب العربي موقف فرنسا بعدم قبول الولايات المتحدة في المجموعة الاوروبية ، وكان هذا ايضا بفعل التاييد الاميركي المستمر

(*) عارض الوفد الاسرائيلي القرار الخاص باحياء ذكرى الانتصار على الفاشية في الحرب الثانية ، مما يفضح اكثر حقيقة الموقف الصهيوني .

لاسرائيل . كما ايدت الوفود العربية (بعد اتفاق مسبق) المطالبة السوفياتية مع الحرص التام على شرح الموقف العربي للوفد الصيني الصديق . اما بالنسبة للطلب الاسرائيلي ،فقد رفض باكثرية الاصوات. وهذا مما اثار الحركة الصهيونية المسعورة في فرنسا التي بادرت الى تنظيم اعتداء استفزازي جبان على مقر الوفود بالاونيسكو ، كما شرعت اكثر الصحف الفرنسية (والغربية الاخرى) التي اعماها الحقد العنصري على العرب ، والموالاة للصهيونية الى تشويه اخبار المؤتمر وقراراته والمبالغة والتهويل بتصوير الامر وكانه يعني « طرد اسرائيل من الاونيسكو ».

وبالطبع فان التوصية لا تعني ذلك رغم ان طرد اسرائيل هو امر مشروع لكونها لا تلتزم بميثاق الاونيسكو وقراراتها .

وقد بحثت الجلسة العامة يوم ٢١ نوفمبر ١٩٧٤ توصية اللجنة الخامسة بهذا الصدد ، ووضع الاقتراح الاسرائيلي في التصويت فسقط مجددا . وقد ايدته الولايات المتحدة والدول الغربية (ما عدا فرنسا التي سبق وعارضت الطلب الاميركي على اساس عدم انتماء الولايات المتحدة الى اوربا جغرافيا) كما ايدته دول من اميركا اللاتينيةمثل نيكاراغوا وبناما والبراغواي والاورغواي .

وبرغم ان الاكثرية التي اسقطت الاقتراح الاسرائيلي لم تكنكبيرة (غاب عدد كبير من الوفود عن الجلسة فان نتيجة الاقتراع كانت صدمة ادبية ومعنوية بليغة للكيان الصهيوني ولحماته وانصاره. فقد حاولت اسرائيل (والحركة الصهيونية الدولية) دائما عرض نفسها امام الاوربيين كجزء لا يتجزأ ثقافيا وحضاريا (وبالتالي سياسيا) منهم وان تقدم نفسها للعالم بصورة (المدنية المتقدمة)في رقعة من العالم تسودها الجهالة والتاخر بل والوحشية هي رقعة الوطن العربي .

ومن هنا سر السعار الصهيوني المحموم على قرار الاونيسكو هذا.

— ٥ —

قرارات المؤتمر دوليا وعربيا

ان القرارات السياسية التي اتخذتها الاونيسكو ،سواء تلك التي تخص ادانة العدو الصهيوني ومعاقبته جزئيا ، او التي تخص قضايا الكفاح ضد الاستعمار والعنصرية والفاشية ، قد اثارت حملة معادية مركزة من جانب الدوائر الامبريالية والحركة الصهيونية العالمية .

فاولا ، زادت القرارات المذكورة من عزلة اسرائيل دوليا . وثانيا ان هذه القرارات بمجموعها كانت تعبيرا حيا عن موازين القوى الدولية الجديدة في الاونيسكو ، وبرهانا على ان هذه المنظمة لم تعد مجرد مسرح لما تدبره بعض الدول الغربية او تخطط له .. وعلىاثر اكثرية امس الآلية ، الخاضعة للاهواء الاميركية ، نشات اليوم اكثرية اخرى تعبر بشكل او اخر وبدرجة او اخرى ، عن التغييرات الدولية العميقة في ايامنا .. وهذه الحال لا يمكن ان لا تستفز الولايات المتحدة صاحبة العصي الغليظة ، والتي تريد ان تنصب من نفسها جندرمة دولية لتقرر كما تشاء مصائر الكون .

وقد اتخذت الحملة الامبريالية الصهيونية ضد الاونيسكو اشكالا واساليب عديدة في مقدمتها :

١ — الاعلام التهويشي الصاخب الذي تصدرته الصحافة الرجعية الفرنسية ، والذي سخر لاغراضه بعض الاسماء الادبية والفنية والثقافية التي لا تهتز ضمائرها امام الجرائم الاسرائيلية الوحشية المتكررة ، والتهجير الجماعي لعرب فلسطين واغتصاب وطنهم بقوة السلاح .

٢ — مبادرة بعض الحكومات والبرلمانات الغربية الى قطع او تقليص المساهمات الاونيسكوية . فمجلس الشيوخ الاميركي اتخذ قرارا بقطع هذه المساهمة . ومجلس الشيوخ الفرنسي قلص المساهمة الفرنسية بمقدار ١٠ بالمئة اما حكومة سويسرا فقد قررت نهائياتقليص مساهمتها بمقدار ١٠ بالمئة اما رئيس وزراء هولندا فقد وجه نداء قريبا الى مدير عام الاونيسكو يطالبه فيها بالغاء قرارات المنظمة حول اسرائيل ، متناسيا انها قرارات اتخذتها اعلى هيئة دستورية في الاونيسكو وباكثرية الاصوات . وشأن هولندا هنا شان الدول الغربية الاخرى التي نددت بقرارات اتخذت بالاساليب الديمقراطية ووفقا لميثاق المنظمة وقواعد العمل فيها . وهي بذلك تبرهن على ان ترئرتها حول « الديمقراطية » لا تخرج عن الديماغوجية والبلف .

٣ — محاولة تنظيم حملة مقاطعة ثقافية للاونيسكو ، ولكنها محاولة لا يمكن ان يكتب لها النجاح .

وواضح أن هذه الحملة المعادية المركزة ترتكز على عمودين اساسيين:

أ — محاولة خنق الاونيسكو ماليا لحرفها عن الطريق واعادتها الى حظيرة حفنة من الدول الغربية .

ب — وشو الاعلام التشهيري للاساءة الى سمعة المنظمة ،وتشويه قراراتها وتشييعها في انظار الفرد العربي . وقد وجدت الصعوبات المالية المحتملة اهتماما جديا لدى الدول العربية ، ونعتقد ان مشاكل من هذا النوع ستجد حلولا سليمة وناجعة . وقد اتخذ المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة في اجتماعه الاخير في (ابو ظبي) توصيات تدعو الدول العربية القادرة ماليا الى تقديم قروض طويلة الاجل وبدون فوائد للاونيسكو والى المساهمة ايضا في صندوقها المالي المسمى بصندوق الودائع للصرف على مشاريع مختارة في عدد من البلدان النامية المحتاجة .

اما على الصعيد الاعلامي ، فان الاعلام العربي كان قاصرا ومقصرا جدا ، بينما كان الاعلام المعادي نشيطا ، وفي خط بياني متصاعد النشاط . فاجهزة الاعلام العربية (الا في نطاق ضيق هنا وهناك) لم تكلف نفسها بمتابعة انباء المؤتمر الثامن عشر ، بل اكتفت بالاشارة المقتضبة والمتقطعة لها ، ونقلا عن مصادر غربية لا يحلو لغالبيتها نقل الوقائع بأمانة وموضوعية . وقد ظل المثقفون العرب على موقف سلبي تجاه الحملة الاعلامية المعادية .

ولذلك فاننا نرحب تماما بمبادرة مجلة (الاداب) ونأمل ان تكون فاتحة لمبادرات اخرى وحافزا للمثقفين العرب على ابلاء الامر ما يستحق من جهد واهتمام ..

باريس — **عزيز الحاج**

المندوب الدائم للجمهورية العراقية لدى الاونيسكو

مكتبة النوري

دمشق — تجاه البريد العام

وكيلة منشورات دار الآداب وكبرى دور النشر اللبنانية والعربية في القطر السوري .